مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03، 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

المسؤولية الأخلاقية الجديدة لمواجهة انعكاسات التحديث

The new moral responsibility to face the repercussions of modernization

خالدي فضيلة* khaldi fadila khaldifadila34000@gmail.com	فلسفة	مختبر مجتمع الجزائري المعاصر/ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة محمد ليمن دباغين-سطيف2-/ الجزائر
بن ولهة توفيق benoulha toufik toufik34200@gmail.com	فلسفة	مختبر مجتمع الجزائري المعاصر/ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ جامعة محمد ليمن دباغين-سطيف2-/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-011-003-022

الإرسال: 2021/01/01 **القبول**: 2021/07/29 **النشر**: 2022/06/16

ملخص:

تعلقت آمال كبيرة على أن مشروع التحديث الغربي سينشأ في الواقع دولة الحريات التي تنتهي من كل أشكال السيطرة اللاهوتية وتستبعد كل البعد الخرافة والأساطير، التي كبلت المجتمعات التقليدية لفترة طويلة من الزمن إلا أن هذا المشروع إنقلب عكس مقصده وبالخصوص بعد الحربين العالميتين، وزيادة توسع الدولة الحديثة بعلماويتها وبيروقراطيتها والإقتصاد الرأسمالي بشركاته الضخمة، الأمر الذي أنتج نوعا من الهيمنة راح ضحيتها الإنسان والطبيعة على حد سواء وهذا ما استدعى تدخل مجموعة من المفكرين أمثال ماكس هوركهايمر، و هربرت ماركيوز، وإريك فروم ومجموعة من الفلاسفة الأيكولوجين أمثال هانس جوناس وميشال سير وغيرهم لمعالجة الأزمة واقتراح الحلول ومن خلال ماتقدم نطرح الإشكالية التالية: كيف انقلب التحديث الغربي من مشروع تحريري إلى واقع هيمنة؟وماهي انعكاساته على الإنسان والطبيعة؟وهل هناك سبل للإنعتاق من هذه الهيمنة؟

كلمات مفتاحية: الحداثة ؛ هانس جوناس ؛ التحديث الغربي ؛ مبدأ المسؤولية ؛ العقل الآداتي.

Abstract:

Great hopes were attached to the fact that the Western modernization project would in fact establish a state of freedoms that would end all forms of theological control and exclude all myth and legends, which had chained traditional societies for a long period of time. However, this project turned against its purpose, especially after the two world wars, and the expansion of the modern state increased. With its secularism, bureaucracy, and capitalist economy with its huge companies, which produced a kind of domination that claimed the lives of man and nature alike. This necessitated the intervention of a group of thinkers such as Max Horkheimer, Herbert Marcuse, Erich Fromm and a group of ecological philosophers such as Hans Jonas, Michel Sir and others to address the crisis and propose solutions. Through the foregoing, we raise the following problem: How did Western modernization turn from a liberation project into a hegemonic reality? Its repercussions on man and nature? Are there ways to break free from this domination?

Keywords : Modernity ; Hans Jonas, Western update ; The principle of responsibility ; The instrumental mind.

* - الباحث المُرسل: khaldifadila34000@gmail.com

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03، 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

مقدمة:

لقد حملت فلسفة الأنوار خطابا عقلانيا يسعى إلى التحرر والتقدم من كل أشكال الاستعباد والسيطرة اللاهوتية على العقل، فأرادت من خلال ذلك أن تنحو منحى علميا وأن تنزع الطابع السحري عن العالم وأن تكسر كل أنواع الأساطير التي حالت بين الفكر والتقدم لقرون عديدة فظهر مصطلح الحداثة وما صاحبها من مصطلحات كالتحديث الذي ترتب عليه تطور تقني مذهل، لكن هذا التطور العلمي ترتبت عليه نتائج سلبية على عالمنا من الناحية البيئية وعلى المنظومة القيمية للإنسان، فعلى المستوى البيئي أصبح عالمنا يعيش أزمة ايكولوجية خطيرة نتيجة التلوث بأنواعه، مما انعكس ذلك على الجانب الأخلاقي فقد أفرغ الإنسان من جانبه الروحي وأغرق في عالم التشيؤ والاغتراب، سلبت هويته ودنست كرامته وسقط في فخ العدمية، فلم تعد الأخلاق النظرية بقادرة على مسايرة هذا التقدم الذي غيّر من طبيعة الطبيعة وتدخل في التركيبة العضوية للإنسان، وهذا ما طرح نقاشات حول مستقبل علاقة الانسان بالطبيعة، فظهرت العديد من المقاربات الايتيقية التي تتخذ من مبدأ المسؤولية الملقاة على كل فرد كشرط للحفاظ على الكيان البيئي ومستقبل الأجيال اللاحقة، وهذا ما بينه هانس جوناس من خلال كتابيه **مبدأ المسؤولية le principe responsabilité**، **من أجل أخلاق للمستقبل une éthique du futur** وفي هذا الإطار سنحاول إثارة جملة من التساؤلات: - **كيف إنقلب التحديث الغربي من مشروع تحريري إلى و اقع هيمنة؟ وماهي إنعكاساته على الإنسان وعلى الطبيعة؟**

- وماهي مبررات "أخلاق المسؤولية" للدفاع عن الحق الايكولوجي ومستقبل الإنسانية من وجهة نظرهانس جوناس؟

أولا- التحديث الغربي و انعكاساته على مستقبل الطبيعة والإنسان

أ- التحديث الغربي المفهوم والآليات

يرتبط مصطلح التحديث بمصطلح الحداثة في المعنى اللغوي فكثيرا ما جاء في اللغة العربية أن لفظ "الحداثة"وكذلك "التحديث"مشتقين من الجذر اللغوي"حدث"وقد جاء في معجم مقايس اللغة: الحاء والدال والثاء أصل واحد وهو كون الشيء لم يكن، يقال حدث أمر بعد أن لم يكن" (فارس، 1979، 36).أما في لسان العرب "حدث": الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك إستحدثه" (منظورإ، دت، ص131). أما في اللغة الفرنسية فلفظ الحداثة Modernite" ولفظ

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

التحديث Modernisation"مشتقين من صفةModerneأي حديث وهذا اللفظ ينحدر من اللفظ اللاتيني"Modernus"(larousse, 1975 p3338) ومما سبق يمكن النظر إلى أن المدلول اللغوي للحديث " Moderne"وما اشتق منه من ألفاظ كالحداثة والتحديث يرتبط ارتباط وثيقا بالزمن على أن الحديث صفة تناقض القديم، أما اصطلاحا فتقدم للحداثة العديد من التعريفات منها من ينظر إليها أنها مرحلة تاريخية، أو أنها تحولات فكرية، أو من جهة أخرى أنها تحولات اجتماعية ويمكن استنتاج تعريف جامع للحداثة بوصفها "تلك التحولات الفكرية والاجتماعية الجذرية والغير مسبوقة التي شهدتها أوربا منذ القرن الخامس عشر ميلادي، لتأخذ هيئتها النهائية في القرن التاسع عشر، والتي نقلت المجتمع الأوربي من طور حضاري لطور يعلوه تقدما، ثم لتكتسح العالم أمريكا الشمالية ثم اليابان فسائر العالم" (مسعودي، 2015، ص34)وانطلاقا من كل تحديد لمفهوم الحداثة يتسع بالضرورة مفهوما لعملية التحديث لأن التحديث هو مسلك الحداثة ومن بين تعاريف التحديث تعريف "صمويل إيزنستاد " أنه: "عملية التغير صوب تلك الأنماط من النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تطورت في أوربا الغربية وأمريكا الشمالية منذ القرن السابع عشر وحتى القرنين التاسع عشر والعشرين" (مسعودي، 2015، ص35)وعليه فالتحديث هو عملية نقل المجتمع في تنظيمه وتدبيره من طور إلى طور يعلوه تقدما بما يحقق للمجتمع تنمية في موارده المادية، وتزكية في موارده المعنوية البشرية ومن خلال ما تقدم نستنتج أن الحداثة هي "جملة القيم والمبادئ، القادرة على النهوض بالوجود الحضاري للإنسان في أي زمان ومكان أما واقعها فهو تحقق هذه القيم، والمبادئ في زمان مخصوص ومكان مخصوص" (الرحمن، 2006، ص175)فإذا كانت الحداثة تحيل إلى مرحلة تاريخية يجري تميزها عن سابقتها فإن التحديث يعبر عن محاولة لاستيعاب المكتسبات التقنية والعلمية والإدارية الجديدة من قبل فئات اجتماعية واستثمارها من أجل تحقيق مصالحها الخاصة. وعليه، فآليات التحديث اختصرها "بودون وبوريكو" بكونه"عملية تعبئة وتمايز وعلمنة" (وف.بوريكو، 1986، ص148) فالتعبئة تعني توسيع حركة المبادلات والمعلومات والأشخاص داخل المجتمع، أما التميز تعني تقسيم العمل الاجتماعي وما يستلزمه من تمايز في الأدوار والأوضاع الاجتماعية، أما العلمنة تعني تحرير التدبير الاجتماعي والبحث العلمي من الخضوع للمؤسسة الدينية.

ب- انعكاسات التحديث الغربي على الإنسان والطبيعة

-**انعكاساته على الإنسان** :رغم الانتصارات التي حققها مشروع التحديث الغربي من تنظيم وتدبير لمختلف الشؤون الحياة "إلا أن هذا الانتصار قد انحرف عن مساره، وأدى إلى نقيض مقصده ذلك

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

أن هذه العقلانية التي بشرت الإنسان بعالم تسوده الطمأنينة أدت إلى تدميره فتحولت هي وتطبيقاتها إلى عار على الحضارة الغربية بعدما كانت مجدا وشرفا لها كما يقول بول فاليري، الأمر الذي ولد لدى الإنسان حالة من اليأس والشك في مبادئ عصر التنوير ومشروع الحداثة بجميع قيمه بما في ذلك مقولات العقل والعلم والتقدم والتحرر" **(علي، 2010، ص25)** مما دفع ببعض المفكرين إلى القول بأن هناك ثلاث نهايات لنظام الحداثة كما يقول "نعوم تسومسكي" وأول هذه النهايات تدمير بيئة الكرة الأرضية....أما حد النهاية الثانية فهو تدمير الإنسانية نفسها، وإفناء الغالبية العظمى من البشر بالبؤس والجوع. أما حد النهاية الثالثة هو استخراج إدراج مفهوم السكان الضمني في مفهوم آخر، بمعنى أن هناك خطة لاستبعاد إرادة إفريقيا وآسيا أمريكا اللاتينية" **(فريديريك.وميوشي، ماساو، ثقافات العولمة، 2004، ص36، 39)**

فالتحرير الذي كان ينشده التحديث الغربي قد أنتج في الواقع هيمنة أشد من صنوف الهيمنة السابقة وهذا ما أكده "هاربارت ماركيوز" واصفا حال المجتمعات الغربية الحديثة أنها دمجت الفرد دمجا أداتيا، فنكب على الجانب المادي وأهمل الجانب المعنوي وغاب عن عينه المعنى الحقيقي للحرية، فالحرية ليست أن يتمكن الإنسان من أن "يختار بين تشكيلة كبيرة من البضائع والخدمات التي يكفلها له المجتمع لتلبية حاجياته، فما أشبه هذه الزاوية بالعبد الذي يتوهم أنه مجرد حر لمجرد أنه منحت له حرية اختيار سادته" **(ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، 1988، ص 12)** .وكانت النتيجة أن أصبح الإنسان أسير الأشياء، إذ لم يعد بإمكانه الانفلات من قبضتها أو التفكير بمعزل عنها فاغترب عن انسانيته وتحول إلى شيء وفقد عقله، كما فقد القدرة على إدراك الحقيقة في ذاتها بل أصبح مجرد وسيلة وأداة للنجاح والسيطرة وهو كما يعرفه هوركهايمر(1895-1973)Horkheimer "أن العقل المهيمن في المجتمعات الرأسمالية الحديثة هو العقل الذي فقد فيها ملكته الفكرية وأصبح مجرد أداة لتحقيق أهداف معينة، إذ أصبح مجرد وسيلة" **(حسن أ.، 2012، ص133)** وبهذا فقد تحول العقل إلى عقل أداتي ينظر إلى الطبيعة والواقع من منظور التماثل ويحاول تفتيت الواقع إلى أجزاء غير مترابطة وينظر إلى الإنسان باعتباره مجرد جزء يشبه الأجزاء الطبيعية المادية، فالإنسان بالنسبة للعقل الأداتي شيء ثابت وكمي **(حسن أ.، 2012، ص134)** فانسلاخ الانسان عن انسانيته جعلته يسعى دائما إلى السيطرة على الطبيعة بغض النظر عن الجانب الأخلاقي والقيمي، فبدل أن يكون العقل قوة للتحرر أصبح أداة للسيطرة، فالعقلانية التقنية هي عقلانية السيطرة لأنه بقدر ما تنمو المعرفة بقدر ما يرى الانسان أن آفاق تفكيره تتقلص وينقص نشاطه واستقلاله الذاتي. **(أفاية، 1998، ص31)**

وهكذا انقلب وعد التقنية الذي قطعته بتحسين الحياة البشرية إلى تدميرها وتهديد كيانها فهذه المخاطر التي حملتها التقنية امتدت أوزارها إلى المدى البعيد. فالتطور العلمي المتسارع أصبح يهدد كيان الانسان وذلك بالخدش في انسانيته فأصبح الإنسان عرضة للتجريب مثله مثل باقي الكائنات ما أفقده كرامته وهذا ما يؤكد عليه ماركيوز حيث يرى أن العلم بعد ما كان يحاول السيطرة على الطبيعة أصبح يسيطر على الانسان وذلك من خلال قوله "ما أحاول أن أستخلصه هو أن العلم قد رسم صورة العالم مثلما أعلى من شأنه على أساس منهجه الخاص به ومفاهيمه، وفيه بقيت السيطرة على الطبيعة مرتبطة بالسيطرة على الإنسان وتتجلى الطبيعة المدركة علميا والمنغلب عليها من جديد في آلة الإنتاج والتدمير والتقنين التي تحفظ حياة الأفراد وتحسنها كما تخضعهم في الوقت ذاته إلى أسياد الآلة" **(هابرماس، 2003، ص49)**، ولعل أكبر هذه الأزمات ما أحدثته الثورات العلمية الثلاث "الثورة الفيزيائية الكم، الثورة البيولوجية الجينوم، الثورة المعلوماتية الكمبيوتر" فالثورة البيولوجية حققت نجاحا هائلا، خاصة بعد اكتشاف الجينوم البشري وهذا المشروع هو تطبيق تكنولوجيا علمية للوصول إلى المحتوى المعلوماتي للجينوم وقد بدأ هذا المشروع رسميا في الأول من أكتوبر1990 فهذه التقنية أحدثت الكثير من التطور وبالخصوص في مجال (الطب وصناعة الادوية وزراعة الأعضاء...الخ) بالإضافة إلى ذلك علاج الكثير من الأمراض المستعصية والتنبؤ مستقبلا بالتحكم في عملية التقدم وتأجيل الشيخوخة، حيث أن وليام هيزلناين يقول "أننا ندخل حقبة يمكن فيها التنبؤ بالأمراض ممكن حدوثها ويدعي بأن الطب سيتغير من نظام يعتمد على العلاج بشكل أساسي إلى آخر يعتمد على الوقاية" **(النشار، العلاج بالفلسفة، 2010، ص172)**إلا أنها حملت الكثير من المساوئ ومنها عودة اليوجينيا وهي" علم تحسين الإنسان عن طريق منح السلالات الأكثر صلاحية فرصة أفضل للتكاثر السريع مقارنة بالسلالات الأقل صلاحية **"(النشار، العلاج بالفلسفة، 2010، ص174)**

وقد بدأت مخاطرها تتضح في أواخر العشرينات من القرن الماضي وبالأخص في أمريكا وألمانيا وانكلترا، وكان العدد الأكثر فيها هم المتخلفون وراثيا والفقراء والمجانين...الخ وكان السلاح في هذه الحرب هو التعقيم القسري والحد من زواج المتخلفين أو منعه ومنع الحمل أو الإجهاض، بل القتل إذا لزم الأمر، وهنا تغيب المساواة فهذه الحركة عملت على تقسيم المجتمعات حسب الجينات المتوارثة فالحياة تكون للأشخاص الذين يتمتعون ببنية قوية في المقابل الإبادة للأشخاص الذين يعانون من تشوهات خلقية، حتى إن صاحب مشروع الجينوم واطسون تحدث عن المخاطر التي قد تنجم عن استخدام هذه التقنية وبالخصوص إذا استخدمها الساسة من الحكام حيث يقول

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

"إن علينا أن نتأمل الطريقة التي استخدم بها النازي كبار العلماء الألمان في وراثة الانسان والطب النفسي من أجل تبرير برامجهم لإبادة البشر، بدأوا أولا بمرضى الأمراض العقلية ثم تلاهم اليهود والغجر يكفينا هذا لنعرف أن العلم إذا وضع في الأيادي الخطأ فإنه يسبب الأذى" **(النشار، العلاج بالفلسفة، 2010، ص182)** والأخطر من هذا ما بينه مارتن ريس في كتابه "ساعتنا الأخيرة" **"أن أهم الأخطار التي تهدد البشرية هي إرهاب نووي وفيروسات مميتة ومعدلة وراثيا و انفلات أجهزة من صنع الانسان وهندسة وراثية تغير من طبيعة البشر...فالعام 2020سيكون عام الخطأ البيولوجي والذي يتسبب بقتل مليون انسان" (طالب، 2006، ص671)** فهذه الحرب البيولوجية من شأنها أن تهدد حياة البشر وتقضي عليها بتحطيم كرامة الانسان وفردانيته واستقلاليته التي يتسم بها.

- انعكاساته على الطبيعة

"إن الطبيعة التي كانت تهدد الإنسان أصبحت هي المهددة حتما جراء كثرة التدخلات التقنية العشوائية **"(عيادي، 2005، ص19)**، بل أصبحت ميدان لتجارب الانسان الذي عمل على استغلالها بكل ما أوتي من تقنيات حديثة عادت عليها بالسلب "فالغريزة المعرفية إنما هي علة ذلك التقدم النظري الصرف" **(هابرماس، المعرفة والمصلحة، 2001، ص162)**، ومن بين المشاكل التي أحدثتها التقنية الحديثة على البيئة هي مشكلة التلوث واستنزاف الثروات وذلك من خلال تزايد المصانع الاقتصادية وتمركزها في المجمعات السكانية وكذا صناعة الأسلحة النووية، حيث يقول برتراند راسل(1870-1972)Russell " لقد سبقت القنبلة الذرية إلى درجة أكبر القنبلة الهيدروجينية مخاوف جديدة تتضمن شكوك حول تأثير العلم على حياة الانسان وبينت بعض الشخصيات المتميزة بما في ذلك انشتاين أن هناك خطر إبادة لكل أنواع الحياة على هذا الكوكب" **(راسل، 2008، ص110)**

وكذا الاستغلال المفرط لمصادر الحفرية للوقود المتمثلة في الفحم والبترول ونتج عن ذلك انبعاث ثاني أكسيد الكربون أو بما يسمى الاحتباس الحراري، فأصبح التلوث يصل للإنسان في جميع حالاته فهذا التلوث أدى إلى تغير في النظام البيئي وانقراض بعض الحيوانات والنباتات المختلفة بما في ذلك ظهور تغيرات في الغلاف الجوي وظهور ثقب الأوزون والأمطار الحمضية...الخ **(صبارتي، 1979، 110-111)**

ومن الفلاسفة الذين نددوا بهذا الوضع ادغار موران حيث يقول " كل شيء في هذا العام يعيش أزمة...ففي كل مكان وفي كل شيء يكبر الغموض، معنى هذا أنه إذا استطاع الأنبياء التنبؤ وإذا

استطاع العرافون رؤية المستقبل، فلم يعد بإمكان المشخصين تكوين رؤية واضحة ولم يعد بإمكان المتكهنين التكهن، فالحاضر في طور الهلاك وكوكب الأرض يحيا ويترنح...والمستقبل ينمحي خصوصا وأنه يتوقف" **(موران، ص41)**

فموران يرى بأن العالم يعيش في أزمة حالية ومصير مجهول يحمل الكثير من التناقضات ذلك أن العالم يعيش تطور مقابل التقهقر وفي نفس الوقت يشهد ثورة في مقابل أزمة ونفس الموقف اتخذه هانس جوناس (1903-1993)Hans Jonas من خلال قوله "فقوة التمييز أو البصيرة عند الانسان قد انحرفت ذلك أن الانسان لم ينجح في التحرر من الضغط الذي تعرض له إذ غير الاعتداء التكنولوجي على الطبيعة كليا بسبب الاستغلال البشع لها وخصوصا في المجتمعات الصناعية الغربية ليس معنى هذا أن الأرض في خطر فقط ولكن غنى أنواعها الطبيعية التي عملت على جعلها فقيرة بشكل مرعب"**(jonas, 1997,P21)**

"فالتقنية الحديثة أنتجت أفعالا وسلوكات جديدة أفرزت موضوعات غير معروفة ونتائج غير متوقعة". **(jonas, Le principe responsabilité une éthique pour la civilisation technologique, 1990 ,P30)**

ومما سبق نستنتج بأن التحديث الغربي لئن وضع تحقيق التحرر مقصدا له فقد أخل بالوسيلة عندما توسل" بعقل ضيق لا يتسع إلا لصنع الآلات ودر الأرباح"(الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، 2006، ص43) وأخطأ السبيل عندما توهم أن التحرير الحق هو تحرر من الدين وأخلاقه والقيم المتعالية والاستغناء بالتنمية المادية، بل وجعلها الغاية والمقصد للحياة الاجتماعية. وهذا ما أدى بجملة من الفلاسفة إلى البحث عن سبل للانعتاق من هذه الهيمنة

ثانيا- مبدأ المسؤولية كشرط لأخلاق المستقبل

وكما سبق وأن بينا أن التقدم العلمي الهائل في ميدان البيولوجيا والهندسة الوراثية فضلا عن أثار الصناعة والتكنولوجيا على البيئة من جهة والخطر الذي تشكله أسلحة الدمار الشامل على البشرية من جهة ثانية هي السمة الغالبة على مشروع التحديث الغربي والذي أوجب تصحيح مساره بإيجاد حلولا لهذه المشاكل التي نجم عنها مخاطر جمة راح ضحيتها الكائن الحي على وجه العموم بظهور مقاربات ايتيقية تدعو إلى الحد من مركزية الانسان، ورد الاعتبار للطبيعة وتثمين العلاقة بين أجيال الحاضر وأجيال المستقبل. وهذا ما بينه جوناس في كتابه "**مبدأ المسؤولية**" الذي أصدره سنة 1979 وكذلك بعمل آخر "**نحو إتيقا للمستقبل**"من خلال قوله "لقد انقلب

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

وعد التقنية الحديثة إلى وعيد فإخضاع الطبيعة التي كانت مسخرة لتحقيق السعادة الانسانية إنما أدى بنجاحه الذي بات يمتد اليوم إلى الطبيعة البشرية ذاتها وإلى التحديات التي يواجهها الكائن البشري بفعل عمله، إن هذه الوضعية الجديدة غير مسبوقة... فأخلاقياتنا التقليدية لم تعد ترشدنا إلى معايير الخير والشر التي يجب أن نخضع لها ما استحدثناه من ضروب التحكم في الطبيعة وما يمكن أن نبتدعه منها بفضل ذلك التحكم، إن الأرض الجديدة...التي غزوناها بتكنولوجيا طلائعية ما تزال أرض بكر من كل نظرية أخلاقية" **(jonas, leprincipe responsabilite une ethique pour la societe technologique , 1990 ,36 37)** لهذا دعا جوناس للتحلي بمبدأ المسؤولية للمحافظة على مستقبل الأجيال اللاحقة، فالمشكلة التي يواجهها العقل اليوم ليست توفير امكانيات الحياة المريحة ووسائل الرفاهية، وإنما المشكلة هي ضمان هذه الحياة واستمرارها أي أن ايتيقا جوناس أخذت بعد يتمثل في شعور الانسان بالمسؤولية اتجاه غيره وخاصة اتجاه الأجيال المستقبلية لذلك توصف أخلاق المسؤولية عنده بأنها أخلاق المستقبل ومنه قوله "إن اهتمامنا هو الالتزام الأساسي بمراعاة مستقبل الإنسانية الذي منه تشتق كل الالتزامات الأخرى، خصوصا نحو الإنساني الآتي" **(سباع، 2018، ص97)** فالأخلاق التي ينص عليها هي أخلاق الحماية والوقاية وغير مقتصرة على الامتثال لأوامر الواجب الخلقي الكانطي ذات الصبغة القبلية فهي تسعى إلى تحقيق غاية أسمى تتمثل في الحفاظ على الحياة وهنا يقول جوناس منتقدا كانط "يجب علينا أن نضيف إلى الاهتمامات الأخلاقية الأفق الزمني الذي هو مغيب تماما في مسألة المنطق الآني للأمر الكانطي، أما بالنسبة إلى أمرنا المطلق فإنه يتجه نحو مستقبل يمكن توقعه، وهو يشكل الجانب غير المنجز لمسؤوليتنا" **(سباع، الفلسفة الايكولوجية عند هانس جوناس نحو أخلاق جديدة لمستقبل الطبيعة الانسانية، 2018، ص98).**

فالمسؤولية عنده لم تعد تفهم على أنها تحمل تبعات أفعالنا اتجاه الآخرين بل المسؤولية لها بعد كلي في ارتباطها بالإنسانية والطبيعة معا، فهذه الاتيقا كما يراها جوناس تتجاوز المجال التقليدي للاتيقا الذي كان يركز على أساس مجال علاقات الإنسان مع نفسه ومع الغير وبما أن الإتيقا التقليدية تتمحور حول الإنسان وحول حاضره، فإن جوناس يوسع التصور الإتيقي لها ويجعله يتعدى الإنسانية ويحترم كل الكائنات ويضمن مستقبل الأجيال اللاحقة، كما وجه انتقادا شديدا إلى فكر النهضة والأنوار وأصوله حول المعنى والقيمة والحرية في الفكر الحديث الذي تواصل مع مشروع السيطرة على الطبيعة لأن هذا الفكر يقود إلى العدمية ومن أبرز من مثلوا الفكر الحديث ديكارت الذي أعطى السيطرة للإنسان على الطبيعة بحكم أنه الكائن العاقل والسيد على

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الطبيعة، غير أن هذه الفكرة حسب جوناس غربت الإنسان عن محيطه الطبيعي وحتى عن ذاته، كما أنه عجز عن تفسير ظاهرة الحياة، فقد أعطى صفة الخلود والبقاء للنفس في حين وصف الجسد بالموت والفناء غير أن كل منهما حسب جوناس في كفة واحدة فلا تعلو النفس على الجسد ولا الجسد على النفس وقيمتهما تكمن في مدى التوافق بينهما، كما قام جوناس بنقد النظرية الديكارتية القائلة بآلية الحيوان حيث رد الاعتبار للكائنات الحية الاخرى التي تتقاسم الوجود مع الانسان، فديكارت نظر للحيوان على أنه آلة مسخرة لخدمة البشر على أساس أن الحيوان لا يملك عقلا فهو أقل مكانة منه وبالتالي يرفض جوناس المركزية البشرية المنغلقة فقط على الإنسان في مقابل تهميش العالم الخارجي **(نسيم، 2009، ص100)**أما عن النقد الذي وجهه لفرانسيس بيكون فهو تأكيده على العلم من أجل السيطرة على الطبيعة واستغلالها وهنا يوجه جوناس نقدا للأخلاق التقليدية بقوله "إن الأخلاق الكلاسيكية ركزت على المواقف الأساسية بين الأفراد التي يجب أن تسود فيها الفضيلة الباحثة عن الخير الانساني فقط ولم تبحث عن خير الأشياء الموجودة خارج المجال الانساني(...) وبالتالي حرمتنا بأن نفكر في الطبيعة على أنها شيء يجب تبجيله ولم تفكر في المستقبل بعيد المدى للإنسان، فهو يتطلب وجود تصورات أخلاقية جديدة" **(نسيم، الفلسفة وقضايا البيئة أخلاق المسؤولية هانس جوناس نموذجا، 2009، ص144 145).**

وقد أعرب جوناس عن مخاوفه من تطور البحث العلمي في المجتمعات الغربية المعاصرة وانتقد بشدة التكنولوجيا وحذر من الخطر المحدق الذي تلحقه بالطبيعة والانسانية ولتفادي هذا الخطر لا بد من تأسيس لايتيقا المستقبل بقوله "**الأطروحة الأولية في هذا الكتاب هي أن نبين أن وعود التقنية الحديثة أصبحت تمثل تهديدا وخطرا حقيقيا على البيئة وعلى الإنسان في حد ذاته" (jonas, le principe responsabilité, 1990,P13)** وفي هذا السياق يرى جوناس أن كل الكائنات الحية تعتمد على البيئة المحيطة في مصدر حياتها، وأن كل هذه الكائنات مهما كانت درجتها في سلم هذه الكائنات تملك وعيا في حاجتها للطبيعة بدرجات مختلفة والدليل على ذلك سعيها كلها إلى إدامة حياتها بما تأخذه من البيئة، وتتأسس فلسفة جوناس في هذا المجال على ثلاث مفاهيم أساسية وهي الغائية والتكامل والوعي، فكل كائن حي يسعى إلى تحقيق غايته من الحياة وكل كائن حي يعتمد على الآخر في تحقيق غايته وهذا ما يعرف علميا بدورة الحياة وكل كائن حي يعي ذاته ولكن الإنسان هو الأكثر وعيا وبالتالي هو المسؤول عن تحقيق الغاية من الحياة وحماية هاته البيئة وفي هذا الصدد يقول "الواجب الجديد يؤكد أنه ليس من حقنا المخاطرة بحياتنا نحن

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

فقط، ولكن لا يجب أيضا المخاطرة بحياة الإنسانية جمعاء، ولا يجب علينا أيضا المخاطرة بمستقبل الأجيال المقبلة" **(jonas, le principe responsabilite, 1990,P40)**.

وقد وضع جوناس نموذجين من المسؤولية وهما أنموذج المسؤولية الأبوية جنبا إلى جنب مع المسؤولية السياسية التي يختص بها رجل الدولة، فالمسؤولية الأبوية هي المسؤولية النابعة من الإنسان الحر والواعي والقادر دون قيد، فالعلاقة بين الطفل ووالده لا تتوقف على توفير الحاجيات فقط وإنما تتعلق من حيث وجوده الشامل فهي علاقة روحية تحفظ بقاء الأولاد وتؤمن عيشهم الكريم وهذه المسؤولية حسب جوناس تعد بمثابة تصور عاطفي يشبه كثيرا حال مسؤوليتنا اتجاه الطبيعة والأجيال اللاحقة" **(روز، الفكر الأخلاقي المعاصر، 2001، ص84)**، فكما يحافظ الأب على أطفاله ويضمن مستقبلهم ومستقبل الأطفال اللاحقين ويدعو جوناس للحفاظ على الطبيعة وحمايتها.

أما المسؤولية التعاقدية تكون مصطنعة يفترضها القانون الذي يفرضه الرئيس بحيث يلعب دور الوصي على رعاياه داخل الدولة ويكون بمثابة الأب المسؤول عن رعاياه بنفس الكيفية التي يمارسها اتجاه أبناءه، فصلاحيته كرجل سياسة أن يحمل على عاتقه مسؤولية مشاكل الرعايا في الماضي والحاضر والمستقبل، فالمسؤولية التي يتبناها جوناس هي مسؤولية تتناول المستقبل البعيد للإنسانية الذي يضمن لها الاستمرار والجديد عن هذه المسؤولية أنها ليست متبادلة فالذي يملك القدرة على الفعل بسبب سعة معرفته يمتلك في المقابل مسؤولية إزاء الذي لا يملك معلومات مماثلة وأفضل مثال على ذلك مسؤولية الطبيب اتجاه مريضه وهذا ما ينطبق على الإنسان والطبيعة، **(روز، الفكر الأخلاقي المعاصر، 2001، ص84)**

خاتمة:

بعد هذه الدراسة التحليلية يمكننا في الأخير أن نستنتج الدوافع والأسباب التي مهدت لظهور أخلاقيات المسؤولية التي تعتبر من أهم الأعمال المعاصرة التي تنتقد نقائص مشروع التحديث والتقدم وهي من أقوى ردود الأفعال الفلسفية ضد الخطر الذي أصبح يهدد مستقبل الإنسانية والطبيعة

- انقلاب سمات التحديث الغربي لرؤية :-علمانية، تستبعد كل مقصد غيبي أو غاية متعالية في الحياة البشرية

-مادية، تختزل الحاجات الإنسانية فيما هو مادي.

-علماوية، تركن إلى العلم الوضعي في تنظيم وتدبير الشأن الاجتماعي.

- تزايد التقدم التكنولوجي في المجال الطبي والبيولوجي أدى إلى اكتشاف البنية الوراثية للكائن الحي واكتشاف العديد من التقنيات كتقنية الاستنساخ التي طبقت على الحيوان والنبات الأمر الذي أدى إلى تغيير في النظام البيئي والايكولوجي وخدش إنسانية الإنسان وهدد كيانه وكرامته - ظهور العديد من المقاربات الايتيقية ومن بينها ايتيقا المسؤولية لجوناس والتي من خلالها أراد أن يغير التفكير الكلاسيكي الذي أعطى السيطرة للإنسان على حساب الطبيعة واقترح أخلاق جديدة تسعى لتقديم الحلول للمشكلات البيئية الراهنة فقد عمل جاهدا للموازنة بين حاجات الإنسان وبين متطلبات البيئة الطبيعية، والجدير بالذكر أن جوناس من الفلاسفة الذين توجهوا بنظرهم إلى الأفق البعيد بالتفكير في مستقبل الأجيال اللاحقة والمحافظة على حقوقهم الطبيعية، واختار مبدأ المسؤولية المحكوم بمبدأ الحيطة والحذر كحل للعيش بسلام بعيدا عن الأزمات البيئية التي خلفتها نتائج التقدم الصناعي ليكون مشروعه الأخلاقي يسمو إلى مستوى العالمية.

****

المصادر والمراجع:

-*Habermas (1985).Le discours philosophique de la modernité.*

- Hans jonas.(1990).le prancipe responsabilité.une éthique pour lacivilisation-technologique.traduit greisch.edition du arf.

- Hans jonas.(1997).une éthique pour la nature.

- MAURICE, B. (2000). *La modernité politique* (éd. Presse universitaire de France).

- larousse (1975) .*Grand larousse de la langue francais;* tome4 paris.

- ابن فارس. (1979). *معجم مقاييس اللغة* (المجلد ج2). القاهرة، مصر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- إبن منظور. (دت).*لسان العرب* (المجلد ج2). بيروت، لبنان: دار صادر.

- أبو النور حمدي أبو النور حسن. *يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل*. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.(2012)

- أحمد حليم عطية.. *نيتشه وجذورها ما بعد الحداثة*. بيروت: دار الفارابي.(2010)

- ادغار موران. *إلى أين يسير العالم* . ت: أحمد العلمي. بيروت: الدار العربية للعلوم الناشرون.

- ألان توران. *نقد الحداثة*.ت:أنور مغيث. المجلس الأعلى للثقافة.(1997)

- برتراند راسل. *أثر العلم في المجتمع*. ت: صباح صديق الملوحي، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.(2008)

- بودون وف.بوريكو. (1986). *المعجم النقدي لعلم الاجتماع* (المجلد ط1). (سليم حداد، المترجمون) الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- جاكلين روز. *الفكر الأخلاقي المعاصر*.ت: عادل العوى بيروت: دار عويدات للنشر والطباعة (2001).

- جيمسون فريديريك.وميوشي، ماساو.. *ثقافات العولمة*.ت: ليلى الجبالي .القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. (2004)

- رشيد الحمد محمد سعد صبارتي.. *البيئة ومشكلاتها*. الكويت:المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.(1979)

- طلعت عبدالحميد وآخرون *الحداثة وما بعد الحداثة -دراسات في الأصول الفلسفية للتربية-*. القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية. . (2003).
- طه عبد الرحمن. (2006). *روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية* (المجلد ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبدالعزيز عيادي. *ايتيقا الموت والسعادة*. القيروان، تونس: دار حامد للنشر.(2005)
- ماركيوز. *الانسان ذو البعد الواحد*. ت: جورج طرابيشي .بيروت: منشورات دار الأدب.(1988)
- محمد أفاية. *الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة هابرماس نموذجا* .بيروت: افريقيا الشرق.(1998)
- محمد الشيخ. *نقد الحداثة في فكر هايدغر*. بيروت: الشبكة العربية للنشر.(2008)
- مصطفى النشار. *العلاج بالفلسفة*. القاهرة، بيروت: الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.(2010)
- موران إدغار. هل نسير إلى الهاوية.ت: عبد الرحيم حزل. المغرب: إفريقيا الشرق.(2012)
- نور الدين مسعودي. (2015). التحديث الاجتاعي السياسي الغربي ومسار الهيمنة الحضارية. 35. جامعة سطيف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر.
- هاشم طالب. *بناء الكون ومصير الانسان*. بيروت، لبنان: دار المعرفة.(2006)
- وجدي خيري نسيم. *الفلسفة وقضايا البيئة أخلاق المسؤولية هانس جوناس نموذجا.ت:* أنور مغيث المجلس الأعلى للثقافة.(2009)
- يورغن هابرماس. *المعرفة والمصلحة*.ت: حسن صقر ابراهيم الحيدري. مصر: منشورات الجمل بالتعاون مع المجلس الاعلى للثقافة.(2001)
- صديقي علي. الأزمة الفكرية العالمية :نحو نموذج معرفي قرآني بديل. *مجلة إسلامية المعرفة* (59)، . (2010).
- محمد بن سباع. الفلسفة الأيكولوجية عند هانس جوناس نحو أخلاق جديدة لمستقبل الطبيعة الانسانية. *مجلة العلوم الاجتماعية* (15)، (2018)